د.محمد أوحيده أحمد أوحيده
كليَّـة الدِّراسـات الإسلاميَّـة- سبـها

مقدمـة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي حثَّ على العلم، وجعل طلبه فريضة على كل مسلمة ومسلم. وبعد،،،

فقد وضع الإسلام قواعد عامة قابلة للتطور حسب الزمان والمكان؛ مبنية على جملة مقاصد أساسها تحقيق كمال العبودية لله وحده، وحفظ حياة الإنسان، وصيانة مصالح العباد بصرف النظر عن العرق واللون واللغة وغيرها من عوامل الاختلاف بين البشر، وذلك من خلال حث العباد على التعامل فيما بينهم بالتي هي أحسن،من أجل غاية سامية وهي تكريم الإنسان الذي اصطفاه سبحانه وتعالى على سائر مخلوقاته، كما قال العليم الحكيم في كتابه العزيز﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾.الإسراء:70.

إن الإسلام يمثل قيماً صالحة لكل زمان ومكان؛ تدعو إلى مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الإنسان، من أجل التعايش الذي تسوده الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، وطيب المعاشرة من خلال الحوار في حال الاتفاق والاختلاف؛ ذلك أن رسالة الإسلام تنبع من عقيدة التوحيد القائمة على شهادة أن لا إله إلا الله التي هي دعوة كل الأنبياء، انطلاقا من أن الرسالة التي جاء بها الأنبياء واحدة

وهي الدعوة إلى الدين الحق وهو الإسلام، الذي يعد منطلق كل الحقوق والحريات، لأن الله تعالى خلق الناس أحراراً ويريدهم أن يكونوا أحراراً، ويحثهم على المحافظة على الحقوق التي شرعها والحرص على الالتزام بها.

يركز هذا البحث على أكثر المسائل جدلاً وهي مسألة حوار الأديان والحضارات كما هي متداولة في الفكر المعاصر، في محاولة لتأصيل هذه الفكرة، والتأكيد على أن جوهر الإسلام قائم على كرامة الإنسان، فمنهج الإسلام في المعاملة الإنسانية يقوم على الأمر بالعدل والعمل به في كل مناحي الحياة، ومنع الظلم وذلك بحماية الأنفس والأعراض والأموال للمسلمين وغير المسلمين؛ من خلال منظومة الأحكام التي وضعها الإسلام بما يكفل العمل بالحق، ويضمن تحقيق العدل القائم على احترام الحقوق، ورد المظالم، وتمكين الفضيلة، وأداء الأمانة، وإصلاح المجتمع.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، ووهبه العقل والإرادة والغريزة، واختاره لوظيفة الخلافة، ولكن لم يتركه يبحث عن طريقه لوحده، وإنما أضاف إلى عقل الإنسان الوحي الإلهي، والذي وضعه سبحانه وتعالى بأيدي صفوة اختارهم من بين خلقه، ثم ساقهم في سلسلة نورانية منذ آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ كي ينيروا للإنسان دروب حياته ويؤهلوه إلى أن يرتقي إلى مقام الخلافة والعبودية والعمارة، وهي وظائف ثلاث تتكامل وتتداخل لتضبط علاقة الإنسان بخالقه وبذاته وبالكون الذي يحيط به.

إن جوهر وظيفة الأنبياء تكمن في إعداد الإنسان وتطهير نفسه، ليكون صالحاً لمقام العبودية المبنية على الإرادة والمحبة، أي إخراج الإنسان من الدائرة التي يكون فيها عبداً لله بالاضطرار إلى الدائرة التي يكون فيها عبداً لله بالاختيار، وهي التي يحقق من خلالها إنسانيته وتميزه عن بقية الموجودات.

لقد حاولنا في هذا البحث أن نثير قضايا ظهرت في زمننا هذا، وكان الإسلام قد جسدها واقعاً عملياً من خلال مظاهر التعايش التي يحث الإسلام على الالتزام بها في التعامل مع غير المسلمين، والحقوق يقررها الإسلام للإنسان بصرف النظر عن أي مظهر من مظاهر الاختلاف.

إن القرآن الكريم حافل بآيات تبرز عقد المقارنات ليفسح المجال أمام العقل للمقارنة والموازنة التي هي من أسس المجادلة والحوار، وإن من الأعمال الدعوية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم والمبنية على الحوار والتواصل إعلام العالم برسالة الإسلام؛ ليثبت أن هذا الدين دين عالمي، ونزل لخير البشرية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء:107، ولقد أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والحكام رسائل يدعوهم للإسلام تحقيقاً لعالمية الإسلام كما جاء في قوله تعالى:﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ الفرقان:1، ثم توالت الآيات التي تؤكد عالمية الإسلام، ومنها قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ سبأ:28، وهذه الكتب والرسائل تمثل اللبنة الأولى لحوار الأديان والحضارات، وهو ما عزمنا إن شاء الله تعالى على دراسته في هذا البحث المتواضع؛ استرشاداً بحكمته صلى الله عليه وسلم في العناية بالمراسلات التي أعطاها عناية فائقة، وأولاها اهتماماً خاصاً، وركّز على طبيعة الأسلوب والمخاطبين بالمراسلات، ذلك أن الحوار وسيلة الاتصال المثلى بين بني الإنسان، وأكثر الوسائل قدرة على التأثير في الآخرين؛ فالقرآن الكريم الذي هو عنوان البلاغة وينبوعها قد استعمل هذا الأسلوب في كثير من آياته، لما فيه من التأثير البالغ، وجاء الإسلام ليكون دين الحوار، الذي يطلق المجال لإعمال العقل، وليحاور الآخرين على أساس الحجة والبرهان

والدليل، وليعلمهم كيفية الوصول إلى الحقائق، عن طريق الكلمة الطيبة، والأسلوب البديع، والجدال بالحسنى.

ويحاول هذا البحث إلقاء نظرةٍ فاحصة على أسلوب الرسائل النبوية بغرض فهم طبيعة هذا الأسلوب، لنحذوَ حذوَه، ونقتبس لمساته.

جذور الحوار

ورد في تاج العروس: "التحاور التجاوب"[1]، وفي لسان العرب: "المحاورة والحوار مراجعة النطق، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم"[2]، وفي مختار الصحاح: "المحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب" [3].

وذكر القرآن الكريم قصة صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ الكهف:34، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي يجادله ويخاصمه[4]. ومن الألفاظ التي استعملت في معنى الحوار كلمة "الجدال"، قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل: 125.

---

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الحسيني الزبيدي، ج 11، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، تح. عبد الستار فراج، 1965م، ص 112.

(2) لسان العرب، ابن منظور،تح. عبد الله الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، مجلد 2 ، ص 1043.

(3) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1976م ص 161.

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح. مصطفى السيد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، مجلد 9، ص 137.

مما تقدم يمكن القول بأن الحوار يعني المراجعة في الكلام، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه، والحوار هو محادثة بين شخصين أو طرفين أو أكثر، وهو يمثل موقف لشخص أو طرف معين في علاقته مع شخص آخر أو طرف آخر، حتى يتمكن هذا الطرف من القيام بمتطلبات الحوار أمام تعقد العلاقات الإنسانية، وهذا الموقف مرادف كذلك للاستعداد والقابلية للإصغاء وتقبل الآخر، وذلك بالاستماع المتبادل، والذي يفضي في نهاية الأمر إلى تبادل المواقف والآراء بين الأطراف..

وتبعاً لذلك فإن الحوار يفترض موقفاً محدداً من الذات؛ ويفترض معرفة الطرف الآخر، وأن يكون هناك موقفا متبادلا بين الأطراف المتحاورة، والدعوة إلى الحوار تمر بمراحل، أولها التعارف عن طريق استعمال وسائل الاتصال الممكنة للتقريب بين أطراف الحوار، والاتصال مع الطرف الآخر الذي أساسه فهم الذات ثم عرضها على الطرف الآخر، ومن تم تصل بالمتحاور إلى نتيجة مبدئية وهي إعادة النظر في فهم النفس، ولذلك تعد أول خطوة نحو البدء في تقبل فكرة التغيير وعدم التعصب لموقف الذات، فالحوار بهذا الاعتبار ضرب من ضروب الأدب الرفيع يغلب عليه الهدوءُ والروية، والبعد عن التشنج والتعصب والغضب، والشريعة الإسلامية حوت الكثير من الأحكام التي تأمر بنبذ التعصب بكل أشكاله، وتعده من دعوى الجاهلية[1].

إن المبالغة في التوقعات بشكل عام وفي فتح الحوار بصفة أخص مقدمة طبيعية لإحباط شديد، وحتى يصل المحاور إلى نتائج ايجابية يحتاج إلى بذل جهود

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تح. شعيب الأرناؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة،2008م، ج2 / 284.

مكثفة ليحدث التغيير، وهذه الجهود قد تتضمن إنجازات جزئية، وتدفع إلى مواصلة العمل.

إن رؤية كل جماعة بشرية في نظرتها إلى ذاتها وإلى طبيعة العلاقات التي ترغب بإقامتها مع غيرها هي التي تحدد نوعية العلاقات التي تقيمها؛ وإقامة العلاقات تبدأ بالحوار، والحوار كما ذكرنا سابقاً يفترض طرفين لديهما الرغبة في الحوار، والمسألة الجوهرية لإنجاح العلاقة مع الطرف الآخر تقوم على رفض الأحكام المسبقة، لأن هذه الأحكام التي تتشكل غالباً من عقد وتجارب تكون قد تركت بصماتها في العقل الباطن، والحوار لا يقوم إلا إذا وجدت إرادة قوية للحوار، لأن تقبّل الطرف الآخر هو الطريق الوحيد لإمكانية تحويل المواقف المتشددة والرافضة إلى مواقف معتدلة ومقبولة، والتراث الإسلامي يبرز قيم الحوار، وأصول التعامل، وقبول الآخر، وفي هذا الصدد نشير إلى ما ذكره ابن رشد من أنه يجب على الإنسان الاستماع إلى أقوال المختلفين عنه في كل شيء يبحث عنه[1].

وفي ذات الوقت لا يمكن أن يكون هناك حوارٌ إذا لم تكن هناك رغبة لدى الأطراف المتحاورة، بمعنى عرض وتلقي كل طرف لأفكار الآخر، وعدم اللّجوء إلى استخدام أي نوع من أنواع الضغط من قبل أي طرف من شأنه أن يجبر الطرف الآخر على تحويل موقفه، فهذه الآلية للأخذ والرد لوجهات النظر تقوم على الحرية، وحتى إن حدث تبديل أو تغيير في أي موقف يجب أن ينطلق من قناعة المتحاور ذاته. كما أن الحوار يستلزم حداً أدنى من الاتفاق، فعلى المتحاورين القبول المبدئي للحوار في حد ذاته، ذلك لأنه من المستحـــيل التحاور

(1) تهافت التهافت، ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988م، م2 ، ص 26.

مع من يرفض كلية فكرة الحوار أو مع من يستعملها لأهداف استيعابية.

أسس حوار الأديان

يتفق علماء الحضارة والتاريخ على أنه لم تكن هناك حضارة على وجه الأرض قديمة أو حديثة تخلو من دور عبادة، يجتمع فيها الناس للعبادة وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، وليس هناك دليل على ان فكرة التدين في جوهرها تأخرت عن نشأة الإنسان[1]. ويتجلى العامل الديني في تراث شعوب الحضارات القديمة في شكل مخطوطات ونقوش وأساطير؛وتبرز أهمية الدين في كونه العامل المحرك للإنسان والذي يقدم له تفسيراً للكون، والأديان قد ساعدت على انتقال الإنسان من مجتمع صغير إلى مجتمع أكبر يؤمن أهله بديانة معينة ويجعلونها معتقداً، كما ساهمت الأديان في خلق وحدات سياسية متجانسة ومتعايشة.

إن الحضارات القديمة تعد الأخلاق والقوانين مرتبطة تمام الارتباط بالدين، حيث يعتبر الدين نظاماً رمزياً يتعلق بالوجود من جميع جوانبه ويوضّح معانيه، وبذلك فالدين هو الذي يقرر المبادئ التي تضبط العلاقات والنظام الاجتماعي، فاندماج الدين والأخلاق والقوانين كان في الأصل كاملاً.

إن الحضارات تختلف في عوامل تكوينها، فقد تنشأ بسبب عوامل ذاتية دون الحاجة إلى مؤثرات خارجية، فالحضارة كالإنسان تماماً فهو يولد حاملاً لصفات وراثية كثيرة، وفي ذات الوقت يتأثر بمؤثرات خارجية، كذلك فإن طبيعة الحضارات ترتبط بجملة من العوامل الفكرية، بحيث تكون الحضارة قائمة على أساس جغرافي أو بيئي أو عرقي أو ديني، كما أن نزوعها إما أن يكون على رؤية

(1) الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع, الكويت ,2006، 127.

تقوم على منهج الانتشار وفق منطق الصراع والإقصاء والهيمنة، أو منهجية قائمة على منطق الاقتباس والتفاعل والاستيعاب. والأمر المرتبط بهذه الدراسة والذي سوف نتناوله تحديدا في مجال مسألة الحوار هو التركيز على الدين بوصفه نظاما للحياة المادية كما هو عقيدة وإيمان؛ والرباط وثيق بين الدين والحضارة، فالحركة التاريخية حركة دينية ولا يمكن فهمها إلا بوضعها في إطار الحركة الدينية الكبرى، والدين منشئ للحضارة، ومن تم فإن الصراع أو الحوار بين الأديان ينتهي إلى صراع أو حوار بين الحضارات، فالصراع التاريخي هو صراع حضاري في المقام الأول وبذلك يكون تاريخ الإنسان هو تاريخ الأديان.

ورغم تعدد مصادر الديانات واختلافها فإنها تلتقي في الغالب حول نقطة جوهرية وهي البحث عن الخير للبشرية، وإن كانت مفاهيم هذه الأديان تختلف وربما تتعارض حول تحديد معاني الخير والشر، والسعادة والسلام.

والقرآن الكريم الذي هو كتاب هداية لكل البشرية قد ذكر الله عز وجل فيه الأديان السابقة وعرض أحوالها، مما ينير الأذهان ويفتح أمامها آفاق المعرفة من أجل المقارنة والموازنة، والإسلام يجعل من مقاصد الشريعة الإسلامية هي المنطلق الرئيسي لإنسانية الإنسان، ففي العمل بهذه المقاصد ينعم الإنسان، ويطمئن قلبه، ويشعر بالأمان في ضمان حاجاته الأساسية من أمن على دينه ونفسه وماله وعرضه، ذلك أن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لنفسها، وإنما المقصود بها أمور أخرى هي معانيها، وهي المصالح التي شرعت لأجلها[1]. والقرآن الكريم يبرز أهم المعاني السامية في الإسلام وهو مبدأ الأخوة في الإنسانية

(1) الموافقات، الشاطبي، أبو إسحاق، تح. محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، 143/2.

في العديد من المواضع منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أتقاكم﴾ الحجرات:13. والحوار بين الأديان ارتبط بالفكر الإسلامي منذ ما يقارب من أربعة عشر قرناً، وقد ازداد الاهتمام به في السنوات الأخيرة بالنظر إلى تطور وسائل الاتصال والمعلوماتية وتشابك العلاقات الإنسانية، والقرآن الكريم حوى الكثير من أسس حوار الأديان، وذلك من خلال ذكره للأديان ومآل أتباعها، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. الحج:17.

لقد بين القرآن الكريم أن الرسالة التي جاء بها الأنبياء واحدة وهي رسالة الإسلام، ولقد ذكر سبحانه وتعالى مجادلة الأنبياء لأقوامهم، وإقامتهم للحجة عليهم من أوجه عديدة، وذكر القرآن الكريم الأديان التي يدين بها الناس، كما ذكر حجج أصحاب الأديان والرد عليهم بالبراهين وضرب الأمثلة، وذكر تاريخ ومصير أقوام وأمم سادت ثم بادت، ومن دعوات الحوار في القرآن الكريم دعوته عز وجل بمجادلة أهل الكتاب لإزالة شبههم وإقامة الحجة عليهم بالحسنى، وهو ما امتازت به الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتأمر بالعدل والإحسان، وتنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، والتي جعلها الله سبحانه وتعالى خاتمة الشرائع والمهيمنة على ما سبقها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: 48، وغاياتها إصلاح البشر، وَإِرْشَادُ النَّاسِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاق، وكان من علامات هذا الكمال أن جَاءَت الشَرِيعَة الإسلامية غَايَة في الاعتدال، مَعَ مَا تحوي من تعاليم تحث على إعمال الْعقول والتحلي بالآدَاب وَتعلِيم الفضيلة.

أهمية حوار الأديان والحضارات

إن ما ورد من أخبار وقصص وأحداث عن الأديان والتي ذكرت في القرآن الكريم، تدل دلالة واضحة على أهمية حوار الأديان في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، ولذلك فإن علماء المسلمين كتبوا في الأديان قاصدين بذلك الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وأرسى المسلمون قواعد علم الأديان أو علم مقارنة الأديان الذي هو علم يقارن بين الأديان لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينها، ومعرفة صحيحها وفاسدها، وإظهار الحقيقة بأدلة دامغة، حيث أورد من كتب من علماء المسلمين في هذا المضمار عقائد ومعاملات كثير من الأديان، ونقلوا عن الكتب والمصادر المعتبرة لدى أصحاب هذه العقائد، وأقاموا الحجة بالأدلة النقلية والعقلية، وسلكوا في ذلك منهجاً دعوياً امتثالاً لما أمر به القرآن الكريم[1].

ولم يعرف علم مقارنة الأديان قبل الإسلام لعدم الاعتراف المتبادل بين الأديان الموجودة قبله، حيث لم يعترف أي دين بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان ضلالا، بل أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين، وعلى نقيض ذلك عاش غير المسلمين في الديار التي دخلها الإسلام بسماحة الإسلام وعدله، ومنحوا حرية أداء طقوسهم الدينية،

(1) للاطلاع على أمهات الكتب في علم مقارنة الأديان، ينظر:كتاب (الدين والدولة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم) لعلي بن زيد الطبري، وكتاب (الرد على النصارى) للجاحظ، وكتاب (الفصول في الرد على الملحدين) للأشعري، وكتاب (المقالات في أصول الديانات) للمسعودي، وكتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) للبيروني، وكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم، وكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب(الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) للقرافي، وكتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية.

والحفاظ على دور عبادتهم وضمان جميع حقوقهم، فقد ذكر (آدم ميتز) أن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى لم يعرف مثله في العصور الوسطى، وبسبب من ذلك أُلحِق بمباحث علم الكلام علم مقارنة الملل الذي لم يكن معروفاً في العصور الوسطى[1].

وفي هذا الإطار فإنه من الجدير بالذكر أن الأقلام المنصفة تستشهد بالتجربة التي قدمتها الحضارة الإسلامية من الحوار والتعايش بين الأديان والحضارات والثقافات الأخرى، وكان الاختلاف عامل تقارب وتفاهم، فلقد عاش على سبيل المثال ابن ميمون أكبر المفكرين اليهود في الأندلس ومصر، وكتب جل مؤلفاته بالعربية خلال القرن الثاني عشر الميلادي، واستطاعت الكنيسة القبطية أن تزدهر في مصر، وأصبحت القدس والإسكندرية والقسطنطينية مراكز للديانة النصرانية داخل ديار الإسلام التي يحترم فيها حرية العقيدة والرأي، وفي هذا السياق أيضا نشير إلى اعتراف المنصفين من المستشرقين بنبوغ علماء الإسلام وبإبداعاتهم العلمية[2].

ومن نافلة القول أن نذكر أن لكل حضارة علامتها المميزة مثل الدين واللّغة وإنتاجها المعرفي بكل صنوفه، لذلك لا يمكن دراسة حضارات وفقاً لنموذج قياسي واحد، فأي تنميط للحضارات يجب أن يقوم على اعتبار أن الحضارات تعرف بعلامات مميّزة. والمتتبع لتاريخ الحضارات يجد أن لكل جماعة بشرية أسباباً خاصة وقفت وراء انتقالها من حالة إلى أخرى ومن وضع إلى آخر، والحضارة

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ترجمة: محمد الهادي أبوريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج1:ص342-343.

(2) الاستشراق والفلسفة الإسلامية بين التجديد والتبديد، إبراهيم صقر، المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2006م، ص 111.

الإسلامية التي هي من أعظم نعم الله والتي اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن أرسل نبيه محمدا صلي الله عليه وسلم في أعقاب سلسلة مباركة من الأنبياء بدين أسمى ما يكون هداية وإرشادا، وأصلح ما يكون تشريعا وتبصيرا، فيختم به الأنبياء كما ختم برسالته صلي الله عليه وسلم الرسالات، وجعلها للناس كافة، وأمره أن يعلن في الدنيا بأسرها للناس كافة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ الأعراف:158.

وكما أشرنا سابقاً فإن العلماء المسلمين كان لهم السبق في الكتابة في علم الأديان، وعلى سبيل المثال النظرة المنهجية التي بدأ بها على سبيل المثال الشهرستاني دراسته وذكرها في الصفحات الأولى من كتابه (الملل والنحل) والتي تقوم على خمس مقدمات رتبها على النحو التالي:

1- بيان أوّل شبهة وقعت في الملّة الإسلامية وكيفية تشعبها ومصدرها ومظاهرها.
2- بيان السبب الرئيسي الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب.
3- بيان تقسيم أهل العالم جملة.
4- بيان قانون يبني عليه تعداد الفرق الإسلامية.
5- بيان أوّل شبهة وقعت في الخليقة.

فإن المحلل لهذه المقدمات المنهجية الخمس يدرك أنّ هناك تصور منهجي كامل لدى الشهرستاني جعله أساساً لدراسته الشهيرة، ويتضح من خلال المقدمة الأولى إدراكه لاختلاف الأديان وانقسامها نظراً لاختلاف أهل العلم وانقسامهم إلى شعوب وجماعات.

كما يتضح لدارس (الملل والنحل) القيمة العلمية لهذا المؤلف في حقل علم تاريخ الأديان، فقد عالج فيه مشاكل منهجية؛ منها مشاكل تخص المقارنة بين الأديان والفرق، ووسائل تفسير الظاهرة الدينية، وكلّها من جوهر المنهج الحديث لعلم مقارنة الأديان[1]، بينما نجد أن غير المسلمين لم يعتنوا بهذا العلم إلا مع بدايات القرن الخامس عشر الميلادي فيما يعرف بعصر النهضة[2]، لأن النصارى عموماً والمستشرقين بصفة أخص هم أبرز المهتمين بهذا الحقل، وحدث هذا الاهتمام بالأديان بالتزامن مع حقبة الاستعمار حين شُرِع في تنظيم البعوث من رجال دين وباحثين ودارسين إلى الشرق؛ للاطلاع على ديانات الشرق وعاداتهم وأحوالهم للتعرف والبحث والدراسة.

والجديد الذي استطاعت البعثات الغربية إضافته إلى هذا العلم، البحث في الأديان القديمة، وساعد على ذلك التنقيب عن الآثار، وتعلم اللغات القديمة، والتركيز على دراسة الأديان القديمة، فأكملوا بذلك ما بدأه المسلمون، مع أن المسلمين يتميزون بأن بين أيديهم مرجعاً إلهياً حوى علماً ومعرفة ودليلاً لهداية الإنسان وهو مصدر معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وترجع أهمية دراسة الأديان إلى أن المسلم يتعرف على الأديان الأخرى، ويطلع على ما ورد في هذه الأديان من مظاهر فساد وانحراف، ذلك أن النظرة الفاحصة الواعية لما عليه الأديان غير الإسلام تزيد المسلم إيماناً بدينه، كما

(1) الملل والنحل, محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني، تح. أبي محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص19-31.

(2) علاقة الإسلام باليهودية، محمد خليفة حسن احمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر، 1988، ص:68-69.

يتضح له سلامة ونقاء مصادر الإسلام، وأخيراً في معرفة تاريخ الأديان وواقعها يقين للمسلم بحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام.

وغني عن البيان أن الإسلام شرع جميع الأحكام في العبادات والمعاملات والجنايات والأحوال الشخصية والشؤون القضائية والسياسية والعسكرية، بما يتلاءم مع حاجة الناس ومصلحة البشر، في حين أن الشرائع السابقة وإن كانت ملائمة لعصرها، إلاّ أنها غير ملائمة للبشرية في العصور الأخرى. كذلك فإن الإسلام دين واسع الأفق، فيه من المرونة واليسر ما يجعله صالحا لكل الجماعات الإنسانية على اختلاف ألوانها وأجناسها وبيئاتها وظروفها، فهو يتسع للحرية الفكرية العاقلة، ولا يقف على لون واحد من التفكير، أو منهج واحد من التشريع، وهو بتلك الحرية يساير جميع أنواع الثقافات والحضارات التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها.

الحوار مدخل دعوات الأنبياء

جوهر دعوات الأنبياء هو إعداد الإنسان وتربيته ليكون أهلاً لمقام العبودية، والقرآن الكريم عندما يقص قصص الأنبياء، يبيّن أنهم يشتركون في دعوة الناس إلى عبودية الله سبحانه وتعالى، حيث نرى ذلك من خلال آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف:59، وتتكرر مثل هذه الآية الكريمة مع كل نبي على اختلاف زمانه ومكانه.

ويكتمل الدين بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ورسالة الإسلام التي جاء بها، لأنها رسالة جمعت بين مختلف متطلبات الإنسان، والتي من أبرز خصائصها أنها خاتمة الرسالات، ومكملة لما سبقها، وفي الوقت ذاته، متميزة بخصائص تتفق مع كونها خاتمة لسلسلة النبوة والرسالة، وهو ما يعني خطابها للإنسان في كل زمان ومكان.

ويقص علينا القرآن الكريم حوار وجدال الأنبياء مع أقوامهم في موضوعات شتى، أبرزها التوحيد والإيمان، حيث يبرز الصراع بين الحق والباطل، والجدل الإنساني موجود بوجود الإنسان، وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقفون مواقف قوية في تبليغ رسالات ربهم مهما لاقوا من أذى، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى عليهم السلام كلها تشير بوضوح إلى حقيقة الحوار والجدل ودوره وأثره في الدعوة.

إن الدين بالمفهوم الذي يعيشه المؤمن الحقيقي قد لا يعرفه كثيرون من غير المسلمين ممن يبحثون عن روحانية؛ قد تتجلى في علم النفس أو الغيبيات أو مفاهيم حضارية ومدنية متنوعة، ويبحثون عن طقوس تريحهم من عناء المادية القاسية، ويسعون إلى توافقات مع آخرين على حدود من القيم والمعالم الأخلاقية والسلوكية، ويعززون الترابط الأسري والاجتماعي، وقد تناول ابن خلدون علاقة الدين بالاستقرار الاجتماعي، وحاول العثور على قاعدة عامة تحكمه، واعتبر أن الدين أهم وأقوى الضوابط الاجتماعية التي تؤدي إلى الاستقرار[1].

إن تاريخ الحضارات لا يؤكد ضرورة وجود التوجه العالمي داخل كل منظومة حضارية، إذ إن هناك حضارات كثيرة لم تحقق عالميتها أو أنها لم ترغب في أن تصبح عالمية، سواء كان ذلك متأصلاً في خصوصيات هذه الحضارات أم أنه يعود إلى عجزها عن بلوغ درجة الشمولية، وفي المقابل حضارات تكون العالمية أساساً في رؤيتها، والدعوة إلى حوار الحضارات من الخصائص المميزة للنصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، ولقد تشابكت العلاقات بين

(1) الضبط الاجتماعي،أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ص33.

الحضارات والأديان وتأرجحت على مدار تاريخها القديم والوسيط والحديث بين مراحل ذات طبيعة تعاونية، ومراحل أخرى ذات طبيعة تنافسية صراعية.

والأصل الشرعي في الحوار مع أهل الأديان الدعوة إلى الله، وبيان الحق ورد الباطل بالأدلة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت:33، ويعد الحوار بين الدين الإسلامي والنصرانية من أكثر حوارات الأديان والحضارات حضوراً وتشابكاً، وقد رأينا ان الفكر الإسلامي كان سباقاً للدعوة للحوار منذ بداية الدعوة الإسلامية، ذلك لأن الحوار بين الأديان بالمنهج الصحيح مطلبٌ جوهري لتوضيح الصورة الصحيحة لعقائد الإسلام وآدابه وأحكامه، وهو وسيلة من وسائل دعوة الناس عموماً، وأهل الكتاب بشكل خاص، لأن الدعوة إلى الله تعالى وإقناعهم بالحق هدف شرعي مطلوب، وقد قام بالحوار بين الأديان بمعناه الشرعي المطلوب الأنبياء الكرام في حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم بطرق مختلفة وأساليب متعددة، والمسلمون هم أقوى الناس حجة وبياناً، لأن الإسلام دين موافق لعقل الإنسان ونفسه، إلا أن الحوار بين الحضارتين الإسلامية والنصرانية أخذ شكلاً سياسياً في بداية القرن العشرين الميلادي حيث نظمت عدة حوارات طغى عليها الاستغلال السياسي، وأثارت أجواء متضاربة من الجانبين، وشهد الحوار في منتصف القرن العشرين الميلادي حراكاً قوياً من الجانب النصراني، حيث دعت الكنائس الغربية إلى لقاءات وندوات لم تسفر عن نتائج مشجعة للاستجابة الضعيفة من جانب المسلمين من جهة، وللمشاكل المختلفة بين الطرفين من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك فقد كان مفهوم الكنيسة الكاثوليكية للحوار هو استمرار وتطوير لحركة التنصير أو ما يعرف بالتبشير المسيحي، ومحاولات لجعل الحوار تلفيقاً دينياً بين

أحكام الديانتين، ذلك لأن نفي الآخر هو أحد ثوابت الفكر الغربي[1]. وقد عقدت عدة لقاءات وتأسست عدة منتديات ومراكز مختصة في الحوار في كل من الحضارتين، وتكررت الدعوات إلى الحوار في مؤتمرات إقليمية وعالمية حول موضوعات عديدة منها مسائل السلام والمرأة والتعليم والتعايش وحقوق الإنسان. ولقد أصبحت فكرة التعايش والتسامح دعوة فكرية تحمل في طياتها مضامين فكرية وثقافية وحضارية واجتماعية، والتعايش والتسامح بهذا المفهوم يعني احترام الآخر، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد والقبول بها، وتقدير التنوع الثقافي، والانفتاح على الثقافات الأخرى، وهذا النوع من الحوار معروف في التراث الإسلامي، فقد تفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود وعاهدهم، وصالح المشركين في الحديبية، وكذلك الصحابة الكرام تفاوضوا مع أهل الأديان والملل المختلفة في مسائل العيش المشترك، وقد زخر الفقه الإسلامي بتراث ضخم في مجال العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين.

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم:

بعد أن تناولنا في الفقرات السابقة مفاهيم تتعلق بأسس الحوار ومقارنة الأديان، والتفاعل بين الحضارات والتي هي بمثابة مدخل لدراسة موضوع هذا البحث، وهو الرسائل النبوية كلبنة أولى لحوار الأديان والحضارات، نشرع في دراسة موضوع رسائله صلى الله عليه وسلم، حيث أرسل عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والحكام رسائل يدعوهم للإسلام تحقيقاً لعالمية الإسلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ الفرقان:1، ثم

(1) الاستشراق، ادوارد سعيد، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 2001م، ص145.

توالت الآيات في السور المكية تؤكد عالمية الإسلام كقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ سبأ:28، كما جاء في معنى عالمية الإسلام آيات كثيرة في القرآن الكريم، وامتثالاً لأمره سبحانه وتعالى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسائله إلى ملوك عصره وأمراء عهده.

ومن خلال هذه الرسائل وضع صلى الله عليه وسلم الأسس المتينة والقواعد الجديدة والمصطلحات الإسلامية، لإرساء العقيدة الإسلامية، وكانت هذه الرسائل مختلفة عن الخطابة والأمثال والحكم، لسلاسة عبارتها وجزالة أسلوبها، وتركيز معانيها ووضوح أهدافها، وبُعدها عن الصناعة اللفظية[1].

خصائص الرسائل النبوية:

يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الأمور بتدرج ويسر وسهولة في رسائله، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والرقة واللين، وأسلوبه صلى الله عليه وسلم يختلف بحسب اختلاف أصناف الناس، فاختلاف الأساليب مبنية على اختلاف المخاطب بها، وقد امتازت أساليبهذه الرسائل بأمور، منها:

أولاً: لطف العبارة ورقتها وسهولة ألفاظها وسلاسة عبارتها.

ثانياً: البعد عن الغرابة اللفظية بحيث تكون العبارة جلية مفهومة.

ثالثاً: دخول المصطلحات الإسلامية الجديدة فيها، كالصلاة والزكاة والحج، والجهاد والصدقة والبر، والفريضة والسنَّة والنافلة، وغيرها من المفردات والمصطلحات الإسلامية.

(1) سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود شيت خطاب، ص 258.

وقد كان من النتائج الأولية لهذا الأسلوب رد فعل من أرسلت لهـم هذه الرسائـل، حيث كشفت مواقف الملوك والحكام من الدعوة الإسلامية[1].

ومن عرض هذه الخصائص يتبين أن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأباطرة والقياصرة تمتاز بأنها صيغت بمنتهى الحكمة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ولا يهدد، ويُذكر بأنه ليس طالب ملك، ويَذكُر أن هناك زكاة في أموال الأغنياء وأن الزكاة والصدقات إنما تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم، وهو بهذا يؤكد أنه ليس طالب مال.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب كل زعيم حسب ظروفه، فإن كان من أهل الكتاب أشار إلى مابين الأديان السماوية من روابط، وإذا كان من غيرهم أشار إلى التزام البشرية بالعودة إلى الله وترك عبادة ما سواه.

وما سنه النبي صلى الله عليه وسلم من أسلوب في الحوار هي طريقة حضارية تسمح بمعرفة المواقف، وهو وسيلة الاتصال والتلاقي الفكري الذي يولدّ أفكاراً جديدة تساعد على فهم الحقيقة، والحقيقة تظهر من خلال تبادل الآراء واستيعاب الآخر.

وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم أن الحوار يقضي على سوء التفاهم والكراهية، حيث أن الإنسان يصبح متعايشاً ومتفهماً بعد الاعتراف له بالاختلافات التي تميّزه، وبذلك فإن الحوار هو أفضل السبل لتفادي تطور الأزمات إلى موجات من العنف والصدام، كونه يساهم في بروز مزيد من التقارب يكون أساسه تمازج جملة من القيم الإنسانية المتداخلة، وذلك يتأتى بعد تجاوز مجمل العراقيل النفسية والموضوعية، والتي تؤدي إلى الالتقاء حول النقاط المشتركة وتوسيعها وتعميقها،

(1) العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، سعيد المهجر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995م، 112.

والتقريب بين نقاط الاختلاف بحثاً عن المواءمة، والحيلولة دون أن تكون نقاط الخلاف عقبة في سبيل التفاهم المشترك، انطلاقا من المقصد العام للشريعة الإسلامية، وهو حفظ نظام الحياة، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما هم مكلفين به[1].

وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من تجارب من سبقه في ما يتعلق بإعداد الكتب وما تتطلبه من وسائل، مثل الاستعانة بمترجم أو من يجيد لغة من سترسل إليه الرسالة، واختيار من تربطه علاقة صداقة أو تجارة ونحوها، علاوة على ما تتطلبه المراسلات من نسخ وختم ونحوه، فقد تبث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى الملوك والحكام، قيل له يا رسول الله إن الملوك لا يقرؤون الكتاب إلا مختوما، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة وختم به الكتب[2].

نماذج من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم:

قبل أن نحلل رسائله صلى الله عليه وسلم نستعرض نماذج من هذه الرسائل:

كتابة صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين، ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، مطابع الرسالة، الدار البيضاء، 1966م، ص 79.

(2) فتح الباري،ابن حجر، 10 / 324.

يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ آل عمران64 .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى عظيم فارس:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس".

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط،".

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى"[1].

(1) للاطلاع على رسائله صلى الله عليه وسلم ينظر:كتاب طبقات بن سعد الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار بيروت للطباعة والنشر، 1957م، وكتاب البداية والنهاية،ابن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة،1990م، وكتاب تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تح.

قراءة تحليلية في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم:

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء والولاة في العالم لها مكانتها، حيث تقتني بعض المتاحف والمكتبات عددا منها، ويحتفظ عددا من الأشخاص ببعض هذه الرسائل التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وحكام ورؤساء وزعماء زمانه.

فبعد انتشار دعوة الإسلام واستقرار الدولة الإسلامية بعد صلح الحديبية اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تعريف العالم برسالة الإسلام، امتثالا لأمره سبحانه وتعالى في تبليغ دعوة الإسلام، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم رسائل إلى زعماء الكيانات السياسية والدينية، والملوك والحكام في جزيرة العرب ومصر والحبشة وبلاد الروم وفارس وغيرها، يعرفهم بالإسلام ويدعوهم إلى الإيمان بهذا الدين[1].

تباينت ردود الأفعال ومواقف من أرسلت إليهم الرسائل، فعلى سبيل المثال فإن كسرى ملك الفرس مزق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم[2]، بينما احتفظ المقوقس حاكم مصر بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وعثر على هذه الرسالة في أحد الأديرة بمدينة سوهاج المصرية[3]، وكرَّم هرقل ملك الروم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل تكريم حتى وصلت إلى الأندلس وما زالت

= محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، 1964م، وكتاب السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار الشروق، جدة، ط8، 1989م.

(1) السفارات النبوية، محمد العقيلي، ص15.

(2) تاريخ الطبري، 90/3.

(3) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار الشروق، جدة، ط8، 1989م، ص 288.

متداولة[1]، وكان موقف النجاشي ملك الحبشة مؤثراً عندما قرأ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم واحتفظ بها وأكرم وفادة حاملها[2].

وقد أوردت معظم كتب السيرة والتاريخ نصوص معظم هذه الرسائل إلا أن أشهرها ست رسائل بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العالم وهم: النجاشي ملك الحبشة وحمل الرسالة إليه عمرو بن أمية الضمري، وقيصر إمبراطور الروم وحملها إليه دحية بن خليفة الكلبي، وكسرى ملك الفرس وحملها إليه عبدالله بن حذافة السهمي، والمقوقس حاكم مصر وحمل رسالته حاطب بن أبي بلتعه، والحارث بن أبي شمر الغساني وبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي، وهوذه بن علي الحنفي وبعث إليه سليطين عمرو العامري[3].

إن الرسائل والكتب التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبائل والملوك والحكام تبين حقيقة الإسلام، وتشرح أهمية اعتناق دين الإسلام وفهم مبادئه، وتشير تلك الرسائل إلى أنه كان للنبي ديوان يجلس فيه الكتاب لكتابة لرسائل التي يرسلها النبي إلى ملوك وحكام زمانه.

وكتبة رسائله صلى الله عليه وسلم وصلوا إلى أكثر من خمسة وعشرين كاتباً منهم أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن فهيرة، وعبدالله بن الأرقم، وأُبي بن كعب، وخالد بن سعيد بن العاص، وزيد بن أبي ثابت، والزبير بن العوام، والمغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن رواحة، وعبدالله بن سعيد بن أبي السرح،

(1) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض، ص 45.

(2) الجامع الصحيح، البخاري، باب كيف بدء الوحي، 1 /55.

(3) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي،مرجع سابق، ص 274.

وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، ويعدون نماذج في الأمانة والاستقامة والتقوى، وهم صفوة زمانهم في الدعوة[1]. وإن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للسفراء كان عن وعي بصفاتهم الخلقية والثقافية والدينية، فقد كان صلى الله عليه وسلم يرسم للسفراء ماذا يصنعون، وكيف يتصرفون في الأحوال والظروف التي يتعرضون لها أو يواجهونها[2].

المنهج النبوي في الرسائل النبوية

إن ما احتوته رسائل النبي صلى الله عليه وسلم والحوار الذي دار بين السفراء والملوك والأباطرة من الدروس ما لا يحصى، وبتحليل هذه الرسائل نجد أن مضمون الخطاب متحد في كل المراسلات وهو الدعوة الصريحة للإسلام.

والمتتبع للسيرة النبوية يلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل إلى عموم ملوك وأمراء الأرض منذ بداية الدعوة، وعلى الرغم من أن تعاملات عديدة تجرى مع عدد من الممالك والإمبراطوريات، ومع ذلك ففي هذه التعاملات لم يخطِّط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دعوتهم في ذلك الوقت، ولم يفعل الرسول ذلك؛ لأنه يتعامل بحكمة، ولأن إرسال رسالة تدعو فيها الناس إلى دين جديد يتطلب التريث والنظر.

ولذلك رأينا الصحابة عندما هاجروا إلى الحبشة لم يكن من مهمتهم دعوة النجاشي إلى الإسلام، بل إنهم لم يعرفوا النجاشي بدينهم، ولولا الموقف الذي قام به عمرو بن العاص ومحاولته إثارة النجاشي ضد المسلمين، ما شرح له جعفر بن

(1) سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود حطاب، ص285.

(2) مقومات السفراء في الإسلام، حسن فتح الباب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1970، ص60.

أبي طالب الإسلام؛ وحتى بعد هذا الشرح فإن جعفر لم يدعُ النجاشي إلى الدخول في الإسلام، مع أنه كان يدرك أن هنالك ميولاً في كلام النجاشي للإسلام، ومع ذلك لم يفعل، ولم يدعه إلى الإسلام.

ولقد بدأت هذه الرسائل بالتزامن مع الفترة التي رجع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية في شهر ذي الحجة في السنة السادسة من الهجرة، وهي في معظمها في وقت متزامن لا يفصل بينها إلا أيام.

والمنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك يشير إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الشعوب، اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً من أساليب الدعوة وهو مراسلة الملوك والحكام، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية[1].

وقد كان تلقي الملوك والحكام للرسائل . كما ذكرنا سابقا . مختلفا، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتلطفوا في جوابهم، وأكرم النجاشي والمقوقس رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسل المقوقس هدايا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما كسرى فلما قُرئ عليه الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (مزق الله ملكه).

وفي رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون

(1) العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، سعيد عبد الله المهيري، مؤسسة الرسالة، 1995، ص112.

بها، والمزايا التي يمتازون بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بأُلوهية المسيح، جاءت في الكتابين اللذين وجههما إليهما كلمة عبداله) مع اسم النبي صلى الله عليه وسلَّم، فيبتدئُ الكتابان بقوله: (من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم) و(من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط)، بخلاف ما جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، فاكتفى بقوله: (من رسول الله إلى عظيم الفرس)، وجاءت كذلك الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: 64، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قائدين سياسين، وزعيمين دينيين، ولما كان قوم كسرى يدينون بوجود إلهين، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى كسرى عبارة (وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً)[1]. وهذا الأسلوب الذي كتب به صلى الله عليه وسلم مراسلاته يعد منهجا دعويا شمولية لعالمية الدعوة الإسلامية التي تتسع لكل ما هو نافع لعموم خلقه سبحانه وتعالى.

أدب الحوار في الرسائل النبوية:

الحوار أمر ضروري لنجاح الدعوة، وقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم أروع الصور في الحوار؛ واهتم به اهتماماً كبيراً، لأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار.

ومن بين ما تميّزت به رسائل النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب الرفيع في الصياغة، شأنها شأن الجمالية التي اصطبغت بها سائر نصوص التراث النبوي،

(1) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار المعارف، 1988، ص39.

فالكتب والرسائل التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم قد أرست الأساس التاريخي وحفّزت لظهور أسلوب جديد من الكتابة الفنية في الأدب العربي.

والطابع الفني في كتب النبي صلى الله عليه وسلم فني عن البيان، فلغة الفن متجلّية في كتبه صلى الله عليه وسلم، وجمالها لم يكن على حساب مضامينها أو معانيها، ولمن تأمّل رسالته صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يجد أثر الفن الجميل ظاهراً بكل وضوح، والتي ذكر فيها صلى الله عليه وسلم أنّ عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة، فحملت بعيسى عليه السلام[1].

وتجلّيات جمالية الصياغة واضحة في سائر النصوص النبوية، فنصوص أقواله صلى الله عليه وسلم مضيئة مشرفة، رشيقة مألوفة، فلا يوجد فيها لفظاً شاذا أو كلمة غريبة.

وأساليب الدعوة عند النبي صلى الله عليه وسلم نابعة من خصائص الإسلام من جهة، وخصائص العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم والناس كما يحددها القرآن الكريم من جهة ثانية، فهذه الخصائص إجمالاً يمكن تبينها من خلال نماذج من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:151، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة:2.

(1) السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط4، 1993م، 460/2.

فالآيتان عرضتا بصورة جلية طريقة القرآن البلاغية لوظيفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يتم من خلالها نقل الناس من مستوى الأمية بكل مفاهيمها؛ أمية عدم القراءة والكتابة، أمية عدم امتلاك الكتاب، الأمية الحضارية، وغيرها من صور وإشكال الأمية إلى مستوى المعرفة، وحمل الكتاب، وامتلاك الحكمة.

ويمكن تبيان أسلوبه صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال سمات تتمثل في إنسانيته صلى الله عليه وسلم، فهي جاءت تستهدف الإنسان بما هو إنسان،وهي انعكاس لقيم الإسلام الذي يمتاز بنزعته الإنسانية الواضحة الثابتة الأصيلة في معتقداته وعباداته وتشريعاته وتوجيهاته، والتي تؤكد أن الأصل في علاقات المسلمين مع غيرهم من الأمم هو السلم والتعايش السلمي[1].

ومن هنا فإن قيم الإسلام تتعامل مع الإنسان لا باعتباره ملَكاً معصوماً، ولا باعتباره شيطاناً رجيماً، وإنما باعتباره إنساناً فيه نوازع الخير ونوازع الشر،قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الشمس:7،8. فالذي ينطلق في الحياة متنصلاً من عبودية الله سبحانه وتعالى مؤلهاً نفسه، يقع في عبودية لا تقل سوءاً وشرّاً عن عبودية الصنف الأول الوارد في هذه الآية الكريمة؛ إذ ليس في الدنيا أسوأ من اتخاذ الهوى إلهاً يعبد من دون الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية:23.

ومن سمات دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الشمولية؛ إذ تنظر إلى الإنسان نظرة شاملة تستوعب مكوناته من عقل وروح، وعاطفة وجسد،كما

(1) الإسلام نظام إنساني، مصطفى الرافعي، القاهرة، ص185.

تستوعب جميع أطوار حياته من طفولة وشباب، وكهولة وشيخوخة، وأيضا أوضاعه رجلاً وامرأة، فرداً ومجتمعاً.

وتتجلى الصورة الإنسانية لسلوكه صلى الله عليه وسلم في حرصه على عدم طغيان البعد الروحي على سائر الأبعاد الأخرى، فالتوجه النبوي ينبه على خطورة الخروج عن السنن الكونية في التعامل مع النفس الإنسانية، فالإنسان كما خلقه الله سبحانه وتعالى مركب من أبعاد وجب احترامها والوفاء بحقوقها، وإن من أخطر ما يوقع الإنسان في الشقاء تجاهل أبعاده المختلفة واختزاله في بُعد واحد، سواء كان روحياً أم مادياً، والتجارب الإنسانية البعيدة عن هداية الوحي كثيراً ما جلبت التعاسة للإنسان حين تعاملت معه على أنه كائن مكون من بُعد واحد.

ومن نافلة القول أن نذكر أنّ هذا المنظور الإسلامي يتجاوز حدود الزمان والمكان، ومع ذلك لا يمكن فصل الواقع المعاصر عن ارتباطه بالبيئة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ولو تتبعنا السيرة النبوية لوجدنا المرونة التي يتعامل بها النبي صلى الله عليه وسلم في الحوار والمجادلة، وهذا مما يجعل من مواقفه صلى الله عليه وسلم نموذجا صالحا لكل بيئة عبر الزمان والمكان.

وإذ نشير إلى أسلوبه صلى الله عليه وسلم في الحوار، لنؤكد أن خصائص الدعوة النبوية ليست سوى انعكاس للخصائص الذاتية للرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو خاتم الأنبياء، ورسالته التي هي خاتمة الرسالات، فكان متكاملاً ومكملاً لمن سبقه، وفي الوقت ذاته، متميزاً بخصائص تتفق مع ختمه لسلسلة النبوة والرسالة، وهو ما يعني خطابه للإنسان في كل زمان ومكان. ونجد في المسلك المقابل لدى الحضارات المادية، التي ضخمت من مادية الإنسان على حساب روحه، إلى الدرجة التي اختفت أو كادت تختفي فيه بقية الأبعاد، مما

جعل الباحثين يتحدثون في معرض نقدهم لمآلات الحضارات المادية عن ظاهرة الإنسان ذي البُعد الواحد.

ومن أبرز سماته صلى الله عليه وسلم في الدعوة التكامل والتوازن، فلا تكتفي السمات النبوية بأن تنظر إلى الإنسان في إطار إنسانيته ومن خلال أبعاده المتعددة، وإنما تحرص على إحداث التناسق بين هذه الأبعاد المختلفة، وذلك بإضافة مفهوم التكامل والتوازن إلى مفهوم الشمولية. فالمنهج التربوي الذي تقدمه السنة النبوية، يستهدف إنساناً تتكامل أبعاده وتتوازن، فهو منهج يوازن بين الروح والجسم، وبين العقل والقلب، وبين الدنيا والآخرة، وبين المثال والواقع، وبين النظر والعمل، وبين الغيب والشهادة، وبين الحرية والمسؤولية، وبين الفرد والجماعة، وهذا المنهج لا يستبعد أي إنسان من إنسانيته التي كرمه الله سبحانه وتعالى بها[1].

وصفة التكامل والتوازن، يمكن أن نستدل عليها بأمثلة من سلوكه صلى الله عليه وسلم، كما يمكن أن نستنتجها من مواقفه التي يحرص النبي صلى الله عليه وسلم من خلالها على بيان مراتب الأحكام وتكامل فوائدها، وهذه الخصائص البارزة من التربية النبوية تطبيق عملي لجوهر الإسلام وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ النساء:1، ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ﴾ هود:1 ، 2، ويقول الشاطبي: "الشرع إنما جاء بالتعبد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم

(1) حقوق الإنسان، أحمد يسري، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م، ص 34.

السلام"[1].

ورسائله صلى الله عليه وسلم تضمنت صفات جوهرية في الحوار تتمثل في الواقعية وهي من مقتضيات الإنسانية، والوسطية وهي من مقتضيات التكامل والتوازن، والقبول الاجتماعي وهي من مقتضيات الشمولية والصلاح لكل زمان ومكان، وهو ما يعد أسلوبا إنسانيا، ومنهجا أخلاقيا في التعامل، وأساسا قويا للحوار والمجادلة بالحسنى.

الخاتمــة

إن الإنسانية في حاجة إلى ثقافة الحوار وإلى ثقافة قبول الآخر، فكل هذه الثقافات في ظل النزاعات والمشاحنات تصبح عسيرة، مع أن الكلمة الطيبة التي هي المدخل إلى كل حوار تمثل قيمة مثلى، وهي أداة التعبير الفاعلة والمؤثرة والتي تدل دلالة واقعية على روح التسامح، ومن بين أهم مسارات نقل حركة الحوار بين عموم الناس يبرز الدين بوصفه جسراً بين الشعوب،وحركة الناس النابضة بالحياة.

وباستقراء التراث الإسلامي نجد الكثير والوفير مما يدل على أساس الكلمة الطيبة في عدد من الوثائق الإسلامية، مثل وثيقة صحيفة المدينة التي تعتبر مرجعية رائدة لتأسيس المجتمع الإسلامي، وتؤكد الصحيفة أن المجتمع الإسلامي الذي خاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالكلمة الطيبة كان تعددياً، وكذلك فإن العهدة العمرية التي ارتبطت بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ونهج البلاغة

(1) الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، تح. محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص 266.

الذي اشتهر به الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، تمثل جميعها نقاطاً مضيئة في مفهوم وتأثير الكلمة الطيبة.

إن هذه الوثائق والمرجعيات تعد أحد روافد التسامح واحترام حق الاختلاف الذي أساسه الكلمة الطيبة، والرجوع لهذه الوثائق وإحياء النصوص التي تتضمن معاني التسامح التي حفل بها التراث الإسلامي هو ضرورة دينية ودنيوية تساهم في إزالة كثير من التناقضات التي تقف حائلاً أمام مواجهة التحديات.

ولقد أصاب جانب التعامل ضمور شديد عند كثير من المسلمين، حتى إن كثيراً من المسلمين لا يعون حقيقة الحضارة الإسلامية في حقبها المختلفة، وكيف عاشت هذه الحضارة وعمرت الأرض، وقادت دفة توجيه البشرية لعدة قرون، وكيف أثرت وتأثرت بغيرها من الثقافات والحضارات، وغياب هذا الإدراك جعل المسلم المعاصر بلا ذاكرة ثقافية حضارية، وجعله عاجزا عن التواصل المثمر مع عصره، وانتقال الحوار بالنسبة للمسلم من العقائد إلى الثقافات سيدفع إلى مراجعة ما انطمس في وعيه من ذاكرة العمران البشري بعلومه وآدابه وفنونه، ثم تتجسد واقعا عمليا في حياته.

لقد أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم بالحوار والمجادلة أساساً في التعامل، وهي القاعدة الأساسية في الإسلام التي يمكن استلهامها واعتمادها قاعدة في التعامل، إن علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه وسماع آرائهم ومواقفه الكثيرة تبين كيف أن المسلمين يناقشون بحرية كي يتوصلوا إلى الرأي السديد، لذا كان التعايش هو المدخل الصحيح لفهم نظرة الإسلام للإنسان ومكانته، تحقيقاً للمنهج الذي يربط بين الجوانب الاجتماعية والمفاهيم الشرعية من أجل بلورة رؤية إسلامية في التعايش.

إن الحوار بين الحضارات يستدعي وجود حضارات تعترف ببعضها وبقدرتها على الحوار مع آخرين، تعترف بهم كذوات حضارية لها خصوصيتها وهوياتها الثقافية، والحوار يتطلب خطوة سابقة وهي التعارف الحضاري الذي يهدف منه تغيير الصورة المشوهة التي تحملها كل حضارة في اللاشعور عن الآخر،وهذا أمر غاية في الأهمية لتفادي الصدام، والعمل على التأسيس لحوار بناء وحقيقي بين الحضارات.

إن الحركة الحضارية لا تستقيم مسيرتها إن لم تأخذ بعين الاعتبار القيم والمعايير الأخلاقية، وإلا تصبح متوحشة وتصب في غير مصلحة الإنسان، وأن الحل الواقعي والعملي لصراع الحضارات يكون بتحرير الإنسان من عقد النقص والانبهار، وبتحرره من الموروثات السلبية المتمثلة في التكبر والتعالي.

إن الإسلام له سمة خاصة، إذ امتد على أجزاء كبيرة من الكون، فكوّن حضارة متعددة الأعراق والثقافات، والتعايش الذي أبدته الحضارة الإسلامية سببه عقيدة الإسلام وطبيعته، حيث اتسمت العلاقات بين المجتمعات بالتعايش واحترام حضارات وثقافات وعادات الشعوب.

إن تحقيق الحوار لغاياته يتوقف على مسالة أخلاقية بالدرجة الأولى، وهي الابتعاد عن التعصب، والأحكام المسبقة التي تجعل من الذات الأحسن، وما عداها الأسوأ، وكذلك ينبغي معرفة الطرف الآخر، فمعرفة الآخر تقتضي بداية الاعتراف به طرفاً يمكن أن يكون له رأي يقنع به الآخرين، فالحوار يعني تبادل المتحاورين من الحضارات الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر بطريقة موضوعية، تبين ما قد يكون بينهما من تلاق أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرف بقناعاته في أجواء من الاحترام المتبادل والمعاملة بالتي هي أحسن، بعيداً عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح، بل ما يرجى منه

هو إشاعة المودة وروح المسالمة والتفاهم فيما فيه التوافق من أعمال النفع العام للبشرية.

والحوار ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الحضارات الأخرى في إطار من التسامح والرغبة المشتركة في التعايش، والحوار يعني الالتزام باحترام الآخرين، فكل طرف يجب أن يتفادى أفكار نزعات التفوق والسيطرة، والحوار ليس دعوة مجردة للتفاهم والمحبة، دون تحديد لأركانه ونفي ما قد يشوبه من نوايا خفية تفرغ الحوار من عناصره الأساسية، وهي الصدق والوضوح والإخلاص من ناحية، والمسالمة والتعايش والفهم المشترك من ناحية أخرى.

إن دروسا وفوائد كثيرة يستفاد منها من خلال فهم ما احتوته رسائل النبي صلى الله عليه وسلم، والحوار الذي دار بين السفراء والمبعوثين من جهة، والملوك والحكام من جهة أخرى؛ وبتحليل هذه الرسائل نجدها مؤسسة على حكمة الدعوة، روعي فيها العقائد التي يدين بها كل من وجهت إليه الرسالة، والامتيازات التي يتمتع بها، ويشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء

والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الشعوب، اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً من أساليب الدعوة وهو مراسلة الملوك والحكام، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى الملوك والحكام أثراً بارزاً في دخول بعضهم الإسلام، وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية، وبذلك حققت هذه الرسائل نتائجها.

ونختم هذه الدراسة بمجموعة من المقترحات العملية والتي تنبثق من الزخم الذي اكتسبته فكرة حوار الحضارات، وهي أن الحوار بين الحضارات يستدعي وجود حضارات تعترف بقدرتها على الحوار مع آخرين، تعترف بهم كذوات

حضارية لها خصوصيتها وهويتها الثقافية مع إبعاد إمكانية فرض رأي معين أو رؤية واحدة. إن رسالة الإسلام أساسها الحوار العقلاني، وهذا ما أبرزته رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والحكام، والتي أوردتها كتب التاريخ الحضاري المنصفة والتي تستشهد بالتجربة التي قدمتها الحضارة الإسلامية من حوار ثري بين الديانات والفلسفات والثقافات الأخرى، وكان الاختلاف عامل إبداع على كل المستويات، فلقد عاش ابن ميمون أكبر المفكرين اليهود في الأندلس ومصر، وكتب جل مؤلفاته بالعربية خلال القرن الثاني عشر ميلادي، واستطاعت الكنيسة القبطية أن تزدهر على ضفاف النيل، وأصبحت الإسكندرية والقدس والقسطنطينية منارات إشعاع علمي وثقافي، وهذا كله في ديار الإسلام التي تحترم حرية التعبير والإبداع.

المصادر والمراجع

= إحياء علوم الدين، الغزالي. أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.
= الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 2001م.
= الاستشراق والفلسفة الإسلامية ، إبراهيم صقر، المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2006م.
= الإسلام نظام إنساني، مصطفى الرافعي، القاهرة.
= البداية والنهاية: ابن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة،1990م
= تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الحسيني الزبيدي، تح. عبد الستار فراج، وزارة الإرشاد، الكويت، 1965م.
= تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، 1964م.
= تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تح. مصطفى السيد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر.
= تهافت التهافت، ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988م.
= الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،آدم ميتز، ترجمة: محمد الهادي أبوريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.
= حقوق الإنسان، أحمد يسري، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م.
= الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 2006م.
= زاد المعاد، ابن القيم، تح. شعيب الأرناؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، 2008م.
= السفارات النبوية، محمد العقيلي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1986م.

= سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس، ط1، 1996م.

= السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط4، 1993م.

= السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار الشروق، جدة، ط8، 1989م.

= الضبط الاجتماعي، أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

= طبقات بن سعد الكبرى: محمد بن سعد الزهري، دار صادر، بيروت،1957م

= العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، سعيد المهجر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995م.

= فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،دار السلام، الرياض.

= لسان العرب، ابن منظور ، تح. عبد الله الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة.

= ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار المعارف، القاهرة، 1988م.

= مختار الصحاح، للرازي، ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1976م .

= مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، مطابع الرسالة، الدار البيضاء، 1966م.

= مقومات السفراء في الإسلام، حسن فتح الباب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1970م.

= الموافقات، الشاطبي، تح. محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.